فوكس حلب

العدد السابع، ١٦ شباط ٢٠١٦

النزوح الحلبي إلى اللاذقية ص ٢٠

وأنت يا حفار القبور،
من يحفر قبرك؟ ص١١

رسالة التحرير ص ٣

فيتشر

حلب، هل هي مدينة بالمعنى المعاصر؟ ص ٨

وأنت يا حفار القبور ... من سيحفر قبرك ص ١١

الغرق في الطين ... ص ١٧

ثقافة وناس

الجميلات النائمات: انحطاط الجسد وفلسفة الموت ص. ١٣

ميدان وسياسة

القصفٍ الروسي يُحوّل حلب ركاماً ولاجئين أمام حدود مغلقة. ص ٤

النزوح الحلبي إلى اللاذقية: فقراء معدمون وأثرياء مرفهون ص ٢٠

أردوغان وبوتين: سياسة بلا قفازات ص ٢٢

صحة

انفلونزا الخنازير في حلب

ص ٢٤

رئيس التحرير
تيم علي

Taimali.focus@gmail.com

مدير التحرير
آدم يوسف،
adam.joseph.sy@gmail.com

كاتب مساهم
مصطفى أبو شمس

كاتب مساهم
رعد أطلي

مصطفى حسين

مراسل ميداني
اسماعيل عبد الرحمن

عبدو خضر

مراسلة
ناي

لمراسلة المجلة
Focusaleppo@gmail.com

السماء تزدحم ضدنا

منذ انطلاقة الثورة قبل ٥ أعوام، والشعور بأننا وحدنا في سوريا يتعزز دورياً. لم يترك الثوار والمدنيون العُزّل شعاراً إلا وأطلقوه من أجل توسّل دعم دولي لقضيتهم، أو بأقل الأحوال لوقف القتل والقصف العشوائي والتدمير الممنهج. لم يحصل شيء لفترة طويلة. ظهرت "النصرة" ومن ثم "داعش"، وبدأت التحضيرات للتدخل. شعرنا يومها، نحن السوريين، بأن التدخل الدولي ضد "داعش" قد يحد من قصف النظام. إلا أن الأمل سُرعان ما تلاشى.

هكذا بتنا كالساقط من علياء يبحث عن حبل يتعلق فيه. السياسة سباق بيننا وبين الأمل. وعندما كبرت المسافة بيننا، طفا شعار "يا الله ما النا غيرك يا الله". بدأت الأيدي ترتفع الى السماء تبتهل للخالق، على أمل رحمة أو رجاء. تحول الشعار سريعاً إلى فهم جماعي. بتنا نعي بأننا لوحدنا. حتى الحدود التركية قد تقفل أبوابها في وجوهنا. لم يعد أمامنا إلا البحر. هل تريدون دليلاً أكبر على اليأس من عائلة تسبح مع أطفالها في بحر هائج بحثاً عن الأمان؟

بعدما تكثفت براميل النظام، جاء القصف الروسي الوحشي على حلب. باتت التكنولوجيا في خدمة نظام لم تعد البراميل المتفجرة تلبي رغبته في التدمير والعقاب. اكتظت سماؤنا اليوم بالطائرات. "التحالف" بقيادة الولايات المتحدة يبحث عن أهداف "متطرفة". أما روسيا، فلا تبحث، بل تستهدف بلا سؤال أي كتلة اسمنتية داحلها عائلات تتنفس أو حتى ترتكب جرائم أكبر، مثل الأمل بمستقبل أفضل مثلاً!

اليوم لم تعد هذه السماء الماطرة نيراناً وموتاً ملجأنا. لن ترتفع الأيادي اليها. صارت وجوهنا تنظر إلى الأسفل، تماماً كما استقبل "أيلان" الشاطئ يومها هائماً على وجهه. أيها الموت استعجلنا فلم تعد الأرض ولا السماء ترحمنا.

أسرة التحرير

القصف الروسي يُحول حلب ركاماً ولاجئين أمام حدود مُقفلة

تصوير عبد الرحمن اسماعيل

على وقع القصف الروسي الوحشي وتقدم قوات النظام والميليشيات الطائفية الموالية له، ونزوح آلاف السكان باتجاه الحدود التركية، تعيش مدينة حلب منعطفاً حاسماً لم تشهد له مثيلاً منذ انطلاق الثورة السورية قبل خمسة أعوام. وزاد اغلاق الحدود التركية أمام المدنيين الفارين من الموت، والعالقين في البرد، من مأساتهم المتواصلة منذ سنوات.

يواجه آلاف اللاجئين العالقين أمام الحدود التركية المقفلة خطر البرد والجوع والمرض نتيجة الظروف السيئة والقصف المتواصل بلا كلل.

وبالتزامن مع سيطرة قوات النظام على العديد من القرى والبلدات في الريف الحلبي وفك الحصار عن نبل والزهراء الشيعيتين، تقدمت "قوات سوريا الديمقراطية" على جبهتي القتال مع "داعش" وقوات "الجيش الحر".

تسارعت هذه الأحداث الميدانية بعد تعليق المفاوضات في جنيف حتى ٢٥ شباط (فبراير) الحالي، ومعمعة في السياسة الدولية تجاه التصعيد الروسي على مدينة حلب تراوحت بين الشجب والتنديد وتسريبات عن احتمال شن السعودية وتركيا وحلفائهما عملية عسكرية برية في سوريا.

هيئة المفاوضات العليا

انبثقت هيئة المفاوضات العليا للمعارضة السورية عن مؤتمر الرياض الذي انعقد نهاية العام الماضي، وأدى إلى تشكيل لجنة من ٢٢ شخصاً فيهم ممثلون عن "الائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة" و"هيئة التنسيق الوطني" وأعضاء آخرون مستقلون (رغم أن قائمة المستقلين ضمت أسماء في الائتلاف)، يُضاف إليهم عشرة من قادة الفصائل الثورية على الأرض. وجاء تشكيل الهيئة قبيل إعلان المبعوث الأممي إلى سوريا ستيفان دي مستورا عن مؤتمر "جنيف ٣"، وشكلت اللجنة وفداً للتفاوض وأعلنت عن شروط محددة لقبولها في الدخول في العملية التفاوضية، وكان على رأس تلك الشروط رفع الحصار عن المدن والقرى المحاصرة والإفراج عن الأسرى والمعتقلين لدى "نظام الاسد" وخاصة من النساء والأطفال وإيقاف القصف على المدن والقرى. وأعلنت الهيئة أنها ترفض الضغط الذي مارسته عليها الولايات المتحدة أثناء زيارة وزير الخارجية الأمريكي جون كيري للعاصمة السعودية ولقائه رئيس الهيئة رياض حجاب. وصرحت بأن كيري لم يكن سوى موفداً يطالب بالانصياع لمطالب روسيا، وأن الهيئة ستقاطع المؤتمر ما لم يتم تنفيذ شروطها المسبقة. ونتيجة ثباتها على تلك الشروط وعدم رضوخها للضغط الأمريكي والروسي، حظيت هيئة المفاوضات العليا بمساندة شعبية كبيرة في الوسط الثوري السوري.

ووصل وفد "نظام الاسد" إلى جنيف في ٢٩ الشهر الماضي بتمثيل دبلوماسي منخفض، حيث ترأس الوفد بشار الجعفري مندوب "نظام الاسد" لدى الأمم المتحدة. ومنذ اليوم الأول، أطلق تصريحات عدائية ورفضه للانصياع لشروط مسبقة واستهزاء بمطالب الأكراد، في حين لم ينضم وفد المعارضة حتى اليوم الثاني بعدما التزم وزير الخارجية الأمريكي بدعم سياسي لمطالب المعارضة من رفع للحصار وإطلاق المعتقلين، وأن العملية التفاوضية ستتم من أجل الوصول إلى جهاز حكم انتقالي كامل الصلاحيات في سوريا لا مكان لبشار الأسد فيه حسب تصريحات رئيس الهيئة التفاوضية العليا رياض حجاب والناطق باسم الوفد رياض نعسان آغا. ويصر وفد "نظام الاسد" على وضع لوائح باسم الفصائل الإرهابية حسب وصفه كبداية لتلك المفاوضات، ولم يطل مكوث الوفدين أكثر من يومين حتى أعلن ديمستورا أن الظروف غير متاحة لإطلاق عملية التفاوض وتم تعليق المفاوضات حتى ٢٥ شباط الجاري، وما زالت العوائق إلى اليوم متوفرة من خلال إصرار الاحتلال الروسي على وضع أسماء في وفد المعارضة على رأسها هيثم مناع رئيس تجمع قمح وصالح مسلم رئيس حزب "الاتحاد الديمقراطي" الجناح الأقوى في قوات الحماية الكردية، وقدري جميل نائب رئيس الوزراء السابق. وأعلنت هيئة المفاوضات العليا أنها لن تعود إلى جنيف ما لم يتم تنفيذ المطالب "الفوق تفاوضية"، حسب تعبيرها، في وقت يُصر فيه "نظام الاسد" على دخول المفاوضات دون شروط مسبقة، ويعمل هو والمحتل الروسي على تهيئة أرض الميدان لظروف أفضل للتفاوض...

الحسم مع التفاوض

منذ الأيام الأولى للمفاوضات في جنيف كان الاحتلال الروسي ونظام الأسد حسما القرار بتهيئة ظروف أفضل لهم على الأرض من أجل المرحلة القادمة. وكانت القوات الروسية بدأت في عملياتها العسكرية مساندة النظام منذ نهاية شهر أيلول لعام ٢٠١٥، بحجة محاربة تنظيم "داعش". لكن أولى غارات الطائرات الروسية استهدفت مناطق في ريف حمص لا تواجد فيها لـ"داعش"، وهو ما أكدته الولايات المتحدة في التاسع من الشهر الحالي، إذ أشارت الى أن ٩٠٪ من المناطق المستهدفة بالطائرات الروسية لا علاقة لها بالتنظيم. ومع بداية عمليات

التفاوض في جنيف في نهاية الشهر الماضي، صعّدت قوات الاحتلال الروسي من هجماتها الجوية على مدينة حلب وريفها، موقعة المئات من الضحايا من المدنيين العديد منهم من النساء والأطفال، وبشكل مكثف باتباع سياسة الأرض المحروقة من خلال الغارات الجوية بأسراب من الطائرات وليس طائرة أو اثنتين. وقد وفرت طائرات الاحتلال الغطاء لقوات الجيش الأسدي، وميليشيات طائفية مساندة له تمكنوا من خلالها من السيطرة على القرى الواقعة بين مناطق وجودهم شمال حندرات وقريتي نبل والزهراء المؤيدتين للنظام. وتلك القرى هي حردتنين ومعرسته الخان ومابر، و فتح طريق لها بعد أربع سنوات من انقطاعه. وما زالت قوات النظام تحاول التقدم باتجاه أعزاز على الحدود لقطع الإمدادات عن قوى المعارضة ومن أجل محاصرة حلب التي يقطنها ما لا يقل عن ٣٠٠ ألف نسمة. وتمكنت قوات النظام من بسط سيطرتها على قرية كفين شمال نبل والزهراء باتجاه قرية تل رفعت.

ولكن فصائل الجيش الحر تمكنت من دحرها وإعادة تحرير المنطقة، في حين استغلت قوات الحماية الشعبية الكردية الهجوم المباغت والوحشي لطائرات الاحتلال الروسي على الريف الشمالي وسيطرت على بعض المواقع غربي طريق عنتاب الدولي إذ فرضت سيطرتها على قرية دير جمال ومدينة تل رفعت وبعض المواقع غرب قرية اعزاز وقرية ومطار منغ العسكري. وعرض "تنظيم الدولة" هدنة على الفصائل الثورية المقاتلة لمدة ستة شهور مطالباً بتركيز الجهود على قتال النظام في تلك المرحلة، على أن لا تشارك الفصائل في مساندة قوات التحالف أو "المدفعية التركية" في قتالها ضد التنظيم.

كما فرضت قوات سوريا الديمقراطية سيطرتها على مجموعة من القرى جنوب قرية عين العرب "كوباني" وعلى سد تشرين شرقي منبج، والذي يملك أهمية استراتيجية باعتباره يولد الطاقة الكهربائية لمنطقة كبيرة من شرق حلب. وتحدث ناشطون عن حشود لقوات النظام في منطقة ريف حلب الغربي عند قرية العيس يسعى من خلالها النظام الوصول لقرية الفوعة وكفريا ومن ثم لمعبر باب الهوى الحدودي، وحتى الآن يحاول الثوار صد الهجوم الروسي الجوي والزحف البري لقوات "نظام الاسد " ضمن تجاهل المجتمع الدولي لما يحصل وضعف في الذخيرة والعتاد، إذ تحدثت جريدة "نيويورك تايمز" الأمريكية في عددها الصادر في العاشر من شباط الجاري عن تلاشي دعم الولايات المتحدة للمعارضة

تصوير عبد الرحمن اسماعيل

السورية، في حين صرح المقدم أبو بكر القائد العسكري لجيش المجاهدين في جريدة "القدس العربي" في عددها الصادر من العاشر من الجاري أن قوات المعارضة تعاني من ضعف شديد في السلاح والعتاد، وعدم تقديم الدعم لها من الدول الحليفة. وتشكو فصائل مهمة في محافظة حلب ضعفاً في الإمداد منذ الفترة السابقة على فترة القصف الروسي، إذ أعلنت حركة "نور الدين الزنكي" عن انسحابها من مواقع قتالية لها لعدم قدرتها على تغطيتها نتيجة نقص الدعم العسكري.

٦٠٥ شهداء بالقصف الروسي

على الصعيد الإنساني، تسبب القصف الروسي باستشهاد ٦٠٥ مدنيين في مدينة حلب خلال الأربعة شهور التي بات يقصف فيها من عام ٢٠١٥. وفي شهر كانون الثاني الماضي لوحده وصل عدد الضحايا إلى ٣٢٣ شهيداً وفي العشرة الأولى من شباط الحالي تجاوز العدد ٢٠٠ شهيد حسب إحصائيات المعهد السوري للعدالة والمساءلة. والغالبية العظمى من الضحايا من المدنيين والعديد منهم من النساء والأطفال، ونفذت الطائرات الروسية وحدها ٢٠١ غارة جوية على حلب وريفها خلال الشهر الأول من هذا العام، أي ما يزيد عن ست غارات يومياً في حين تضاعف العدد مرات في شباط ليؤمن التقدم المباغت لقوات النظام على الأرض. واستخدمت قوات النظام والقوات الروسية مختلف أنواع الأسلحة بما فيها المحرمة دولياً كالقنابل العنقودية في قصفها لمدينة حلب وريفها وغيرها من المناطق في سوريا، حسب منظمة حقوق الإنسان العالمية.

كما استخدم الاحتلال الروسي و" نظام الاسد " صواريخ أرض-أرض والبراميل المتفجرة , حيث تم استهداف مدينة حلب وريفها خلال كانون الثاني بـ ٢٣١ صاروخاً من الطيران الحربي و١١ صاروخ أرض-أرض بعيد المدى و١٨٣ برميلاً متفجراً، وذلك بحسب احصائيات المعهد السوري للعدالة والمساءلة.

استهداف القطاع الصحي في حلب

وخلف القصف الكثير من الأضرار للمناطق السكنية والمشافي ومراكز الخدمات والبينة التحتية في المدينة والريف، ولم يستثن القصف أي منطقة من مناطق حلب وريفها متركزاً على الريف الشمالي في قرى مثل عندان وحريتان ورتيان وتل رفعت واعزاز، وداخل حلب المدينة في مختلف أحيائها كحي المشهد والصالحين والفردوس والكلاسة مرتكباً العديد من المجازر، وفي منبج والباب وتادف وغيرها في الريف الشرقي. يرافق ذلك نزوح الآلاف من المواطنين في حلب وريفها هرباً من القصف الروسي الكثيف ناحية الحدود التركية، والتي ما زالت مغلقة إلى اليوم أمام النازحين الذي يقدر عددهم بـ٣٥ ألفاً، بحسب حاكم إقليم كلس التركي في السادس من شباط الحالي.

رعد أطلي

حلب، هل هي مدينة بالمعنى المعاصر؟

تصوير جلال المامو

شهد الشهر العاشر من عام ٢٠١٣ في مدينة حلب أولى المعارك الواضحة والصريحة بين قوى ثورية مختلقة المناهج والمناهل وبين تنظيم الدولة، وتحول الإخوة سابقاً وبسرعة قياسية إلى أعداء يعتبر من يموت في مواجهتهم شهيداً. ولكن لم يمثل خروجهم من المدينة وتحريرها من سطوتهم ومحاولتهم التغول فيها على كل القوى الأخرى ومصادرة المجتمع لحساب عقائدهم التي يؤمنون بها دون غيرها ومشاريعهم وأحلامهم الخاصة بهم نهايةً للصراع بين القوى والفصائل المتمترسة خلف عقائد أيضاً خاصة بها لديها العديد من الأنصار من أبناء الطائفة أو القومية قادرة على التسلط عليها. واليوم، في بدايات عام ٢٠١٦، يظهر الصراع محتدماً مجدداً بين قوى مختلفة، يتخذ المسار نفسه باتجاه الصراع الصريح. إن هذا الصراع ليس ناتجاً فقط عن إرادة فصائلية تسعى كل منها لبسط سيطرتها وفرض حيثياتها الإيديولوجية بما ينتج عنها من محرمات ومحللات ضمن مختلف المناحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل بسبب وجود مجتمع مهيأ لهذا الحقل من الصراع ومجهز ومدعم ليشكل أنصاراً لكل الأفرقة المتصارعة. هذا المجتمع هو المجتمع الأهلي الذي إن لم يكن الوحيد، فهو الفاعل في سوريا. تقابله حالة من الفراغ لا يتواجد فيها ملمح حقيقي وفاعل إلى اليوم يستطيع أن ينتج – بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى – مجتمعاً مدنياً معاصراً. فالعلاقة بين عناصر المجتمع من جهة، وعلاقتهم مع الثقافة والتراث والسياسة والدين والاقتصاد وحتى البيئة من جهة أخرى في حلب – وهي مثال حي وقادر ومختصر لكل البيئة السورية – لا تحتاج حتى تتغير إلى دعم المجتمع المدني، بل إلى إنتاجه لأنه ما من مجتمع مدني ولو حتى بأشكال بدائية في هذه المدينة.

تكمن العقبة المركزية في عدم توفر الحاضن الطبيعي والرئيسي للمجتمع المدني المتمثل بـ "المدينة". فالمجتمع المدني لا يملك صيغة ثابتة وناجزة، وإنما هو نتاج لمجموعة دافعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية تحاول أن تجيب على التحدي الراهن للمواطنين في المدن، أي أنها تحتاج أولاً لمدينة ينتج عن التفاعل المدني العضوي بين سكانها أشكالاً وصيغاً وبنى اجتماعية جديدة (هيئات، نقابات، اتحادات...) ينشأ ويتبلور ويتطور من خلالها المجتمع المدني، ويشكل في كل مرحلة تعريفاً جديداً خاصاً به يجيب على تحديات تلك المرحلة، هذا كله يحدث داخل المدينة، والمدينة تلك ليس بتعريفها الإداري أو الديموغرافي فحسب، بل بتعريفها المعاصر كمدينة تملك الآفاق المفتوحة والخيارات المتعددة والمشارب المختلفة التي بواسطتها ينشأ التفاعل العضوي بين "أبنائها" ليحولهم إلى "مواطنيها". مدينة حلب سابقاً – وهي كبرى المدن السورية ولا يمكن أن يتوازى معها في معيار الاسم كمدينة سوى دمشق، ومن ثم بدرجات أقل اللاذقية وحمص – يمكن تعريفها بأنها مدينة فقط بالجهاز الإداري والسلطوي الذي يحكمها والذي ينزع بهتاناً وكذباً عنها صفة الحكم عن طريق البنى التقليدية كالعشيرة والطائفة والدين، وبتمركز رؤوس الأموال والنشاط التجاري فيها، ولكن هل هذا كافٍ لتكون مدينة معاصرة قادرة على احتضانها للمجتمع المدني؟

لم تخرج كافة المدن السورية من منظومة الاستبداد والسلطة القهرية عبر تاريخها، ولعل المفرزات الأكثر تأثيراً في الشكل البنيوي للمجتمع المديني هي مفرزات مرحلة الاستبداد باسم الدين أيام السلطة العثمانية ومن ثم باسم الوصاية الحضارية أيام فترة الاستعمار الأوروبي ليكون أشدها وطأة أيام الحكم العسكري باسم القومية والعلمانية متوجة بالنظام الوحشي المتمثل بديكتاتورية آل الأسد، وقد عمل نظام الأسد بما أوجده من مؤسسات ومنظومات القمع المادي والرمزي والفكري على منع المدينة من أن تعيش مرحلة تطورها الطبيعي الذي يؤهلها لتشكل حاضناً ملائماً لبناء المجتمع المدني من خلال إضعاف كل القوى التي تسعى لبناء هذا المجتمع وما يمارس عليها من تصفية وتهميش وتشويه، والإبقاء على وضع المجتمعات في المدن السورية، مجتمعات كفاف، غير قادرة على منح سكانها فرصة التفاعل المدني العضوي، ومنع المؤسسات الاجتماعية اللازمة لإطلاق ذلك التفاعل، أو ربطها به بشكل كامل كما هو الحال في النقابات والاتحادات المهنية والطلابية والعمالية وحتى الجمعيات الخيرية وجمعيات حماية البيئة، كما ربط النظام الحياة السياسية في المجتمع به بالكامل، وجعل البرلمان الذي من خلاله يمكن التأسيس لتفاعلية ما مع بنى أخرى تظهر في المجتمع لتخلق حالة التوازن معه كمؤسسة تشريعية وسلطوية، جعله مقسوماً بين أعضاء حزبه وأتباعهم من أشباه الأحزاب في الجبهة "التقدمية" من جهة، وبين النواب المستقلين الذين يعتمدون بطريقة شكلية على تحصيل أصواتهم عن طريق البنى التقليدية التي تتمثل إما بالعشيرة أو العرق أو الدين، وبطريقة فعلية بخضوعهم المطلق وإخلاصهم الأعمى المجرّب علاوة على تقديم الرشاوي لدخول البرلمان من جهة أخرى. يترافق مع ذلك إيجاد مدن جديدة بواسطة السلطة قرب المدن الكبرى مثل السويداء ودرعا وإدلب، أي أنها مدن فرضتها خالة سلطوية وجبرية ولم تنتج عن فاعليتها الاجتماعية وديناميتها الذاتية، فلا هي تحولت إلى مدن بفعل جهازها الإداري، ولا منحت الفرصة للمدن الكبرى في زيادة مستوى التفاعل المديني.

حالة الكفاف تلك والتصفية للقوى النادرة التي ظهرت ساعية لإقامة المدينة من خلال حواراتها وصراعاتها كمهمة واجبة قبل إقامة المجتمع المدني، والسيطرة على كافة المؤسسات والمنافذ التي تسمح بتحول حلب إلى مدينة "حرة" إن صح القول كتلك التي نشأت إبان الثورة الصناعية في أوروبا، هذا كله منع حلب وغيرها من المدن السورية من أن تشكل بيئة حاضنة للمجتمع المدني، وبذلك كانت حلب مدينة مريّفة، ومريّفة ليس بهجرة أهل ريفها إليها، وإنما بفقدانها أركان التحول إلى مدينة قادرة على ضبط مسار طبيعي لفتح المجال أمام تشكل مجتمع مدني.

دخلت حلب الثورة ودخلتها الثورة وهي على هذه الحال، مدينة ضخمة فيها نوى كبرى من عشائر في عشوائياتها وجماعات دينية صوفية وسلفية في مساجدها وأقليات عرقية ودينية مغبونة في وسطها وعلى أطرافها وريف زراعي ومحارَب من قبل النظام الديكتاتوري وبواسطة

الرساميل المتمركزة في المدينة في محيطها، أي أنها لم تدخل الثورة فقط ببنى تقليدية وحواضن مجتمع أهلي مركزية، بل ببنى محتقنة ومعبأة وجاهزة لتبني مشاريع الأدلجة التي تشربتها سابقاً، يقابل ذلك فئة وسطى مؤلفة من مجموع البيروقراطيين والطلبة وأصحاب الحرف والمهن الذين لا يملكون وعياً ذاتياً أنهم يشكلون طبقة أساساً كي يملكوا خطة تتبنى إطلاق مشروع مجتمع مدني، وثغرة جيلية متعمدة أو غير متعمدة بين شباب تلك الفئة وكهولها الذين كان من شأنهم أن يكونوا حالة نخبوية قيادية فشلوا بتمثيلها لانقطاعهم التام عن معالجة الواقع والسعي للي عنقه أو للتراكض لاهثين حتى يتوافقوا معه. سيطر الريفيون على الثورة بسلميتها وعسكرتها، والريفيون هنا ليسوا أبناء الريف، بل هم كل المنتمين لبنى المجتمع الأهلي، وبذلك لا يمكن لهؤلاء اتخاذ قرارت بعيدة عن بنى هي صنعتهم ولم يصنعوها، فابن المنطقة أو العشيرة أو الدين أخذ تعريفه الاجتماعي منها فلا يمكنه الانسلاخ عنها، وستذوب فردانيته ضمن الجماعة متماهياً متماشياً مع قرارها الذي من الطبيعي أن يكون فئوياً وعصبوياً لصالحها بتمايزها بنية مغايرة عن غيرها من البنى المتواجدة في المساحة المكانية السورية والحاضنة للمجتمع الأهلي، والتي ستسعى لفرض مصالحها وتعميم إيديولوجيتها بمختلف الطرق التي يشكل فيها الصراع الدموي أحد أوضح الطرق وأسهلها في أوقات الحروب. هذا الأمر لا ينطبق على حلب فحسب، ولا حتى على الأرياف والمدن التي تسكنها غالبية المجتمع السنية، وإنما أيضاً على الأرياف والمدن التي تسكنها الأقليات التي طالما تم الترويج لها في أوقات كثيرة حتى في الثورة على أنها مناطق "مستنيرة" حاضنة للمجتمع المدني، إلا أن الثورة وما تشكل فيها من فصائل ومؤسسات سياسية كانت أم مدنية أم عسكرية من مختلف البنى الجمعية التقليدية تؤكد كذب هذه الإشاعة.

رغم هذه الصورة القاتمة التي ما زالت تنذر بالمزيد من الصراعات البينية بين الفصائل الثورية لكن ما زال هناك فسحة من الأمل لا يمكن للثورة أن تعيش إلا من خلالها، فالثورة يجب أن تملك اليوتوبيا الخاصة بها، الأحلام التي تعد بمستقبل أفضل ولو حتى باتت في مرحلة من المراحل أقرب إلى الأوهام منها إلى الأحلام، لكنها تبقى الضامن الوحيد الذي يدفع بعجلة الثورة إلى الأمام ويمنحها استدامة في الحديث عن آت أفضل، حاملو هذا الأمل هم المدينيون الكثر المتوزعون في كل أنحاء سوريا، في مدنها وقراها وباديتها، هؤلاء الذين وهم في غياهب المجتمع الأهلي يسعون لإقامة المجتمع المدني في سوريا على أساس أنه الحل والخلاص ليس من ديكتاتورية الأسد فحسب، بل من كل المفرزات التي تفتح الباب دائماً وفي كل الأوقات لشلالات الدم. هؤلاء رغم كثرتهم لا يعون ذواتهم كذات واحدة فاعلة ومبدعة، ولا دورهم كمبشرين جدد يغيرون بنية مجتمع بأكلمه، ولا يعون أن تلك الذات الواحدة هي سلاحهم الوحيد والفاعل الذي يجعل منهم أنبياء مسلحين، وحتى يعوا ذلك سيبقون أنبياء متفرقين عزلاً...

رعد أطلي

وأنت يا حفّار القبور .. من سيحفر قبرك ؟

تصوير جلال المامو

يسندُ فأسَه على كتفه متجولاً في المكان الذي يحفظه قبراً قبراً، يجسّ الترابَ فيعرف أيّ القبور هي الأقدم ليعيد نبشَها ثانيةً بفأسه، ويضعَ جثةً أخرى فوق الجثة التي استحالت إلى رفات عظام، إنه في مدينة تُهدي لمنْ تسكنهم الكثير من الموت دون أن تفكّر في تأمين قبور لأجسادهم.

قبل أن يصبح يوسف واحداً من حفاري القبور؛ كان يعمل في الحدادة، يفصّل أبواباً ونوافذَ وأقفاصاً، يلحم ويقطع، لكنْ منذ مطلع عام ٢٠١٣، توقف الناس عن حب الحديد المزخرف أو الملوى، لم تعدِ المهنةُ التي يتقنها تساعده في مصروف أسرته، التي لم تستطع النزوح مثلما فعل بعض الميسورين، بقي في القسم الشرقي من مدينة حلب حيث بيته ومكان عمله، فكر في كل الحديد الذي طيّعه وشكّله، فقطْ مفارقةٌ بسيطةٌ ربّما جعلتْه يعيد النظرَ في كل شيء: إنّ الحديد الذي كان بالأمس يلين على يديه.. هو ذاته الحديد الذي يحصد الأرواح ويضعه في كل لحظة على قائمة الموتى" .

ربما كان قراره صائباً وعبثياً في آن عندما همس لزوجته بحزم فقير لا يملك حلاً آخرَ"هون رح نكمل الحياة"، وكان يكفيه هذيانها ليشعر أنه أقوى "حياة الموت قصدك ؟!"، صمتَ طويلاً، تابعتْ هي: "ألا ترى هذه الشوارع التي تغصّ بغيّابها، بعضهم غيّبتهم المدن البعيدة، وبعضهم غيّبهم الموت، أما الذين يحاربون والذين يوارون الجثث هم فقط مَنْ لديهم عملٌ يشغلهم".

هنا لمعت الفكرة في رأسه، لقد وجد عملاً له. بالتأكيد عمله الجديد ليس القتال وحمل قطعة حديد -لن تلين بين يديه - يسمونها "البندقية "، هو لا يجرؤ على النظر إليها فكيف بحملها؟! إنما سيعمل في لم أثرها، سيصيرَ حفّارَ قبور لمدينة تقدّم الموت على طبق من رماد، "سينجو من الموت عندما يلاقيه دوماً" قال في نفسه.

عندما وقف أمام زوجته وأخبرها بنيته الجديدة، وقفت بحزم أيضاً أمامه معترضةً واتّهمته بالجنون، لم تكد تمضي ثلاثة أشهر منذ تلك المواجهة بينهما، حتى توقّفت عن نعته بالجنون وأرادته أن ينسى أنها قالت ذلك، فقد أصبح "حفار قبور" وتغيّرتْ حياتهما تماماً، أصبح لهما دخلٌ ماليّ يفيض عن حاجاتهم، ودخلت بيتهم أساسيات الحياة التي تعدّ ترفاً في الحرب.

تقول "خلال ما يقارب العامَيْن عشنا كما لم نعشْ من قبل وكنّا بخير، حتى إصابتي وابنتي نتيجة سقوط برميل متفجر وتشظي الزجاج في المنزل كانت حدثا عادياً".

استمرّ يوسف بعمله في الحفر والجس، شاهد مئات الجنازات، دفن أناساً يعرفهم وآخرين لم يسمع بهم من قبل، عاش كما كل حفار قبور، على هامش يفصل بين الحياة والموت وسمع عشرات من قصص الحلبيين التي لم تُروَ أبداً.

في الخامس من شباط في العام الماضي، كان يوسف يوسّع قبراً لجثة أطول من العادة، يحتاج الميت لمساحة تكفل له المزيد من الراحة، بعد أن انتهى من التوسعة، عدّل وقفته واستوى، نظر حوله، ثم إلى القبر، سريعاً، سقط في القبر الذي حفره، جاءت شظية واخترقت رأسه وبات على الأرض ميتان، واحد حفر له يوسف القبر، وثانٍ لن يجد من يحفر له قبراً .

مصطفى حسين

الجميلات النائمات: انحطاط الجسد وفلسفة الموت

غابرييل غارسيا مركيز، قال ذات يوم في مقدمته عن رواية الجميلات النائمات بانها العمل الوحيد الذي تمنى لو أنه كان كاتبه، وبرغم أهمية هذا التصريح من أديب كمركيز، إلا أن ذلك – وبعيداً عن مقولته – لن يُنقص شيئاً من روعة وعبقرية ذلك العمل. منذ البداية يضعنا كاواباتا أمام تحذير هو أشبه ما يكون بسلوك خاص:

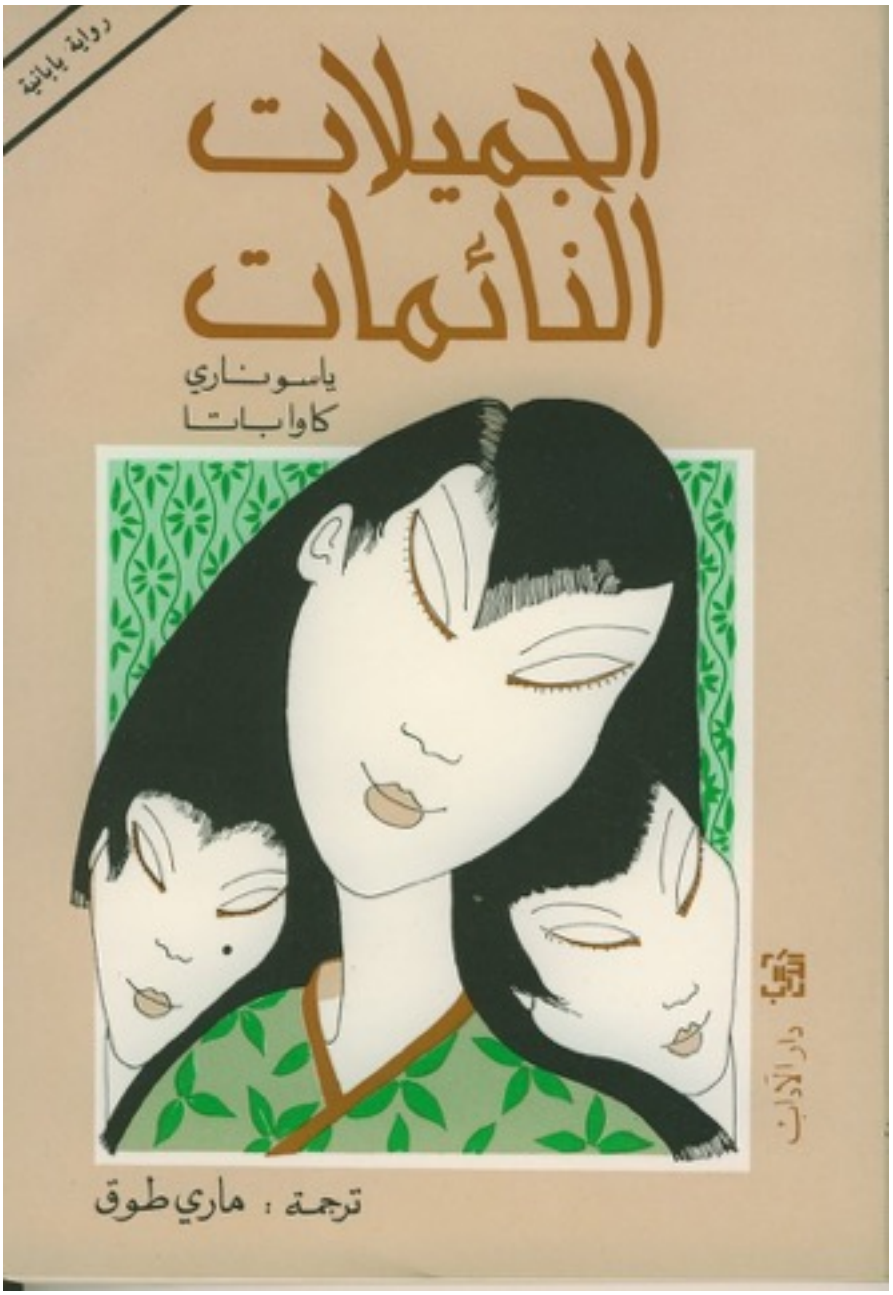

- أرجو منك أن تتجنب المضايقات السمجة، لا تحاول وضعك أصابعك في فم الصغيرة النائمة، هذا غير لائق. تقول مديرة المكان ذلك، تحذير وكأن تلك الممارسات قد حصلت قبلاً. أهي وصايا مقدّسة لذلك البيت الصغير ؟ .. ربما.

ذلك العالم الغريب والذي سوف يطالعنا عليه كاواباتا بعبقريته الفريدة ليناقش أكثر تفصيلات الحياة الفلسفية عمقاً. إذاً نحن في البداية أمام شخصيتين رئيسيتين، إيغوشي، العجوز الذي أصبح في نهاية الستينات، والمضيفة أو العاملة أو مديرة المكان أو القوادة أو الأم، لا أحد يعلم. إنها شخصية غامضة، هادئة، إشكالية ببنائها النفسي والعقلي، غير واضحة المعالم. نحن إذاً أمام شخص غريب سرعان ما سيتحول ضمن العمل إلى ثانوي، لكنه شخص يثير لديك دائماً حالة من الازعاج كلما حضر. عالم غريب .. بيت صغير يحتوي مضيفة، وفتيات صغيرات نائمات تحت تأثير مخدر بكامل العري، وعجائز ينامون بجانب الفتيات، أُنهكوا من الحياة ومن تجارب الوجود، يمتلئون بالذكريات العتيقة لحياة طويلة، ولا يستطيعون سوى تأمّل كل الجمال الجسدي. هذا كل ما هو موجود بين درفتي كتاب .. ولا وجود لسؤال واحد في هذا العمل، إنها مجموعة من الأسئلة الصغيرة والمتشابكة .. أهي شهوة الجنس، أم محاولة شعور العجائز بضرورة وجودهم في الحياة ؟ .. ربما. هو أحد الأسئلة التي تراود الذهن البشري في قراءة ذلك العمل.

إيغوشي

يدخل بطل العمل إيغوشي بدافع الفضول والتجربة إلى ذلك المكان الصغير المنعزل عن كل ملهيات الحياة، يفكّر ما الذي يريده من هذا المكان ؟ ولما أتى حقاً إلى هنا ؟. هذه هي اللحظة الأولى التي يبدأ فيها إيغوشي العجوز بتقديم رؤيته عن الحياة والجمال والحب والجنس من خلال تذكره المستديم لعلاقاته القديمة.

إيغوشي عجوز في أواخر الستينات، يشعر بالتعب ويفكر بالموت، لجأ إلى هذا المكان بتحريض من صديق له، لا شيء يفعله في الحياة، يدخل إلى حجرات مختلفة على مدار خمسة أيام متتابعة، ينام بجانب فتيات صغيرات عاريات نائمات، يتأمّل كل تفاصيل الأجساد الشهوانية، تراوده أحياناً رغبات الجنس، لكن الافكار التي تجابه ذهنه تجعله أكثر تساؤلاً حول الصغيرات. في كل مرة وتجربة جديدة داخل ذلك المكان، هناك تفاصيل استطاع كاواباتا بعبقرية فريدة أن يقدّم دلالات مكانية هائلة، هناك نوع من الارستقراطية المفرطة لذلك العمل الذي يُدار في المنزل، إذاً أليس عملاً جليلاً ؟ .. لكن لماذا يشعر القارئ بالنفور من تفصيلات المكان وارستقراطيته ؟، ربما كان الحس بابتذال ذلك المكان رغم كل هدوئه، هناك شيء من رعب خفي بسيط.

يحاول إيغوشي فهم عنصر مهم، لماذا الفتيات عاريات؟ وما هي المتعة التي يمكن لهنّ أن يجلبنها لعجائز فقدوا متعة الحب والجنس ؟. والسؤال الأهم، عندما تستيقظ إحداهن هل ستدرك انها كانت مستلقية بجانب رجل متهدّل في جسده وروحه ؟.

هذا السؤال الذي سيطر على تفكير إيغوشي، لكنه لن يهتم كثيراً، فهو ينام دون أي أحلام يمكن له أن يراها.

السؤال المحير .. كاواباتا ماذا يريد ؟.

إيغوشي زبون مثل كل العجائز الذين يأتون كزبائن، لكن هناك إيغوشي واحد فقط يفكّر ويطرح تساؤلاته المثلى. يحاول دائماً أن يقارن بين جسده المتهدل العجوز وبين البشرات الناعمة للفتيات النائمات، إنه يشعر بانحطاط جسده، ولكي يتخلص من تلك الفكرة، يعود دائماً إلى ذكرياته ومغامراته القديمة مع النساء اللواتي عرفهنّ. لكن ألا يحق لنا أن نصف إيغوشي برجل الهاجس ؟.

إن شعور العجوز بعد تلك التجارب تظهر بشكل واضح رغبته العارمة بالموت في لحظة جمال، إيغوشي أساسا ومنذ شبابه مسكون بالموت. في مشهد تذكّره لصديقته .. ألم يدعوها للانتحار معه ذات يوم ؟.

إيغوشي منذ زمن مسكون باليأس العارم وبرؤيا الموت، هناك رابط خفي بين الرؤيا الخاصة للجسد وبين الموت لدى إيغوشي. بطبيعة الحال البشرية فإن الموت مرعب بالنسبة لأي عجوز.

صديق إيغوشي فوكورا، الم يمت وهو بحالة من الحب المُتخيّل في ذلك المنزل ؟، ألم يكن احساس إيغوشي هو القرف من طريقة إيجاد فوكورا في مكان جانب المنزل وكانه جثة كلب مرمي دون معرفة ما حصل؟، ألم يشعر إيغوشي باحتقار الذات لأنه يعلم كيف مات فوكورا ولا يستطيع قول شيء ؟.

لكن إيغوشي يستمر .. يسأل، ايمكن له أن يموت أيضاً بجانب جسد إحدى الفتيات النائمات ومن ثم يُوجد بمكان سيء مثل فوكورا ؟

لكن ذلك سيشكل متعة لإيغوشي، إذاً إنه يرغب بموت مثل ذلك، إنه حلم عجوز فقد كل شيء تقريباً في الحياة.

فلسفة إيغوشي عن الموت ليست مرتبطة لأنه عجوز، إنها اعمق من ذلك، إنها طبيعته التساؤلية (الشكيّة) إذا

أُجيز القول, عن كل تفاصيل الحياة والجمال، إنه فيلسوف صغير لا يعرف كيف يُدوّن أفكاره العميقة إلا بالخيال.

مديرة المنزل

إنها سيدة هادئة قوية وذكيّة مثلما أراد كاواباتا تصويرها، في الأربعينيات من عمرها، لكن الغموض يلف كل تفاصيلها، إنها حريصة على فتياتها من شهوات الانحراف التي يُصاب بها العجائز، أو هذا الإيحاء الذي توصله للقارئ، ومع ذلك إنها تبحث عن راحة الزبائن المنكسرين في الحياة، إنها اشبه بملاك يخاف على الجميع ويبحث عن راحة الجميع، لكن ما الذي يدعوها ان تتعامل مع موت صغيرتها وفوكورا بمثل ذلك الهدوء ؟. أهي مجرمة ؟.

بالتأكيد إنها ليست كذلك، لكن عملها الاحترافي بكامل دقته يجعلها أكثر صلابة من أي إنسان يمتلئ بهواجس مخيفة كالموت لكنه ليس على احتكاك مباشر معه. إنها سيدة بطبيعة عمل قد تشاهد موتاً كثيراً فهي الأقدر على أن تتحول إلى ذلك النوع من البشر الصلبين والمزعجين. سيدة مزعجة بكامل وجودها وكامل حضورها.

سيدة وكأن عملها يقتصر على تلاوة الوصايا الخاصة بذلك المنزل.

- لا تحاول تنبيه الصغيرة من نومها، فإنها لن تفتح عينيها ابداً مهما فعلت. إنها تنام منذ البداية حتى النهاية، إنها لا تعلم شيئاً مما يحصل.

إذا نحن أمام معضلة وجودية. بالنسبة لمديرة المنزل فإنها تتعامل مع الزبائن من منطق البحث عن وجود العجائز لذوتهم، وهي مخادعة، فإن الفتيات لا يعلمن شيئاً، أهي تخدعهنّ ؟. ربما.

مديرة المنزل تتعامل مع فتيات شبيهات بالموت، إذاً فهي معتادة على عدم وجود حركة في عالمها، إنها أقرب إلى الصمت المطبق، لا وجود لحركة سوى للعجائز القلائل، لكنهم أيضاً أشبه بحلزونات متحركة لا يؤثرون في لواقع شيئاً.

سؤال كاواباتا .. هل أراد ان يقدّم الموت بشخص مديرة المنزل ؟.

ذلك المفهوم الغامض اللاانساني، إنها لا تهتم لشيء، تتعامل مع الجميع بصيغة الهدوء المستشري، باردة لأقصى الحدود ونظراتها لا تحمل المعاني التي يحملها أي كائن بشري طبيعي.

إن مضمون العلاقة منذ البداية بين ايغوشي ومديرة النزل، واضح للعيان، والنهاية معروفة تماماً بالنسبة لأجساد العجائز والفتيات. إنها دوامة كبيرة من الحياة والموت والتساؤلات التفصيلية.

فوكورا

ذلك العجوز الذي أراد حياة جديدة بعد كل الاحباط او الروتين الذي عاشه، لكن فوكورا مات لأنه لم يحتمل شهوات الجمال بعد ستين عام من حياة فعل بها ما يريد، وربما مات بالنسبة لكاواباتا لأنه لم يسأل ماذا تعملن فتيات صغيرات في هذا المكان سوى ان يشعر قليل من المشوهين في الحياة بمتعة ما قبل الموت.

إن تلك الشخصيات بكل ما فيها من حوارات داخلية تحوّل العالم وتقدمه رغم كل جمال الكلمات التي تصفه، إلى ياس وجودي اتجاه الحياة. إن الجميلات النائمات ليس أكثر من رؤية للحياة من زاوية مختلفة.

ويبقى السؤال الاهم في ذلك العمل ...

من هو الإنسان في الحياة وما هو موقفه إزاء الحب والجمال والذكريات في لحظة موته ؟. أليس الجنس هو أكثر شيء مؤلم بالنسبة للعجائز ؟.

إننا حقاً أمام عمل يستحق كل الاهتمام في قراءته ويبقى الشيء الأهم، كل الاجساد إلى زوال والخلود للروح والعقل.

إنها رؤيا ايغوشي قبل الموت.

علي الأعرج

الغرق في الطين

تصوير جلال المامو

غادرت سيارة صديقي الدافئة لاحقاً بالمهرب الذي جاء اخيراً بعد أكثر من ساعتين من الانتظار في قرية اكدة الحدودية، وبعد أن أوصاه صديقي بي طلب مني أن أتبعه، وقال إننا سنتحرك قريباً باتجاه الحدود التركية.

كانت الساعة تقترب من الثانية عشر ليلاً، البرد والمطر دفع الناس للتجمع في مسجد القرية الحدودية، أطفال ونساء ورجال ينتظرون الى أمد غير مسمى، فلن يعطيك المهرب موعداً محدداً، وإن فعل، فاحتمال أن يكون كاذباً أكثر من 90%.

كان المطر يعطي الليل جواً من الرومانسية لا مكان لها أبداً قرب الحدود، لا مكان هنا إلا للترقب والخوف واستعراض الحوادث التي حدثت مؤخراً مع أصدقائك قرب الحدود.

تتالت الصور، عين هشام المنتفخة وظهر أحمد المشوه بضربات "الجندرما". لا بد أن ضرباتهم ستكون أقسى في هذا البرد.

جاء صوت المهرب من بعيد "خدوا منن الاجرة وطالعون بالسيارة". لم يطلب مني نقوداً كونه تعرف إلي مجدداً وصعدت سيارة الشحن التي حشرنا فيها لنُشحن إلى قرب الحدود.

كانت السيارة محشورة تماماً النساء والأطفال في المقدمة يصرخون "ستسحقوننا" والشباب في المؤخرة يصرخون

تصوير عبد الرحمن اسماعيل

"ستسقطوننا إذا استمريتم بالضغط"، يقطع ذلك الجدال صوت متفاءل "نحن اول من يهطل عليه المطر قرب الحدود هذا الشتاء. إنها علامة خير". فيرد آخر لم أتمكن من رؤية وجهه وسط هذا الزحام: "لا بد انه خير"، لم أستطع تفسير ذلك، المطر الذي يثقل خطانا بالطين ويملأ جيوب الأطفال بالماء ويجعل عباءات النساء أثقل، كيف يكون خيراً، قد يكون خيرا للمزارعين لكن من يزرع هنا؟!!

مضت الشاحنة بين الكروم بدون اضواء، تغوص دواليبها في الطين فتتمايل كزورق، لا شيء يشبه ذلك أكثر من رحلة الهاربين بحرا، الازدحام والتمايل والنسيم البارد وقطرات الماء ترطب الوجوه والسير الى المجهول، كان الموت محيطا بنا مثلهم تماما، كان غرق الشاحنة في الطين وانقلابها ممكنا ايضا، وكان عددنا الكبير كاف لنقتل بعضنا إذا ما حدث ذلك.

انتهت رحلة الشاحنة، وتجمعنا تحت اشجار الزيتون للاحتماء من المطر واضواء "كوبرا" الحرس التركي التي تبحث عن فار الموت لتشبعه ضربا وتعيده من حيث اتى.

بقينا واقفين لساعات، الناس ساكنة كالأشجار تماما، لا يحركهم ريح ولا مطر، كأنهم يتحدون الزيتون في الصمود، يولون وجوههم تجاه الحدود يتأملون وينتظرون، لا اعرف ما لذي كانوا ينتظرونه لكني كنت اراقب معهم.

كنت اعتقد بأن الجو دافئ وأن لدي قدرة على تحمل البرد، لكن ذلك الاعتقاد بدأ يتبدد شيئاً فشيء مع تسرب المياه في ثيابي وحذائي الذي ملأه الطين، ترددت أكثر من مرة في إخراج يدي من جيبي لأنظر في جوالي كم الساعة، كنت متمسكاً بالدفء الأخير في جيبي، الى أن غزته المياه أيضاً فلم يبق من مكان ألجأ اليه، كنت أحسد ذلك الشاب الذي أشعل سيجارته وبدأ يستدفئ عليها.

تشجعت أخيراً وأخرجت هاتفي، كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحاً، نفد صبري وقدرتي على التحمل معاً وطلبت من المهرّب أن يوصلني الى أقرب سيارة لأعود ادراجي مقابل ضعف ما سيحصل عليه إذا عبرت الحدود، لكنه رفض بحجة أنه مسؤول عن عدد كبير من الناس هنا. فقدان الصبر لم يكن شعوري لوحدي، إذ بدأت المطالبات بالتحرك تتزايد و بكاء الاطفال يعلو ولم تجد صرخات المهربين مطالبة الجميع بالهدوء، بدأ الجميع يسيرون بشكل

عشوائي و جنوني يتجمعون حول شجرة او مهرب ثم ينفضون الى أخرى. كنت أدور بين الأشجار لعلّي أجد المهرب الذي أعرفه، لكن ذلك كان مستحيلاً وسط هذا الظلام، بالكاد أميز الرجل من المرأة، لم أعد أستطيع التوقف لأن الحركة أشعرتني بالدفء رغم كتل الطين التي كان علي نفضها عن حذائي أكثر من مرة في الدقيقة، توقفت للحظة لأعرف اين انا، كنت بعيداً عن الجمع، لا أعرف أين اتجاه الحدود، تائهاً تماماً، فلحقت الصوت حتى وصلت الى المهربين مجددا، المهربين كانوا هم الضمان بالنجاة مما نحن فيه.

توقف المطر فجأة، وجاء الاذن بالتحرك اتجاه الحدود، لقد كان توقفه خيراً، بدأنا السير باتجاه الخندق العميق لا شيء يشغل بالي كما عبوره، يوقفني رجل في الطريق ليطلب مني مساعدته في ارتداء حقيبته، فعلت ذلك حياء وليس رغبة في المساعدة، كان آخر شيء يمكن أن أفعله هو مساعدة شخص ما، تجاهلت صرخات ذلك الشاب الذي يطلب المساعدة لحمل المرأة العجوز التي يصحبها.

وصلنا ذلك الخندق الكبير ووضع المهربون جسراً خشبياً كان أجمل ما حدث في هذه الرحلة، عبرنا الخندق وتابعنا طريقنا بشكل مستقيم باتجاه المجهول. لا أحد يعرف الى أين، بعد مدة شعرت بأنها طويلة لا أدري إن كانت كذلك، بدأ يظهر أشخاص يرتدون أكياس مطر بيضاء، كانوا المهربين الأتراك، لطالما كرهتهم. لكن وجودهم أشعرني بالأمان، ولم يعد مسيرنا باتجاه المجهول بل وفقاً إرشاداتهم.

أرشدونا الى مكان التجمع، لم يكن بيتاً او مستودعاً كما العادة، لم يكن دافئاً كما تمنيت، كانت الكروم فقط، والأمطار التي عاودت الهطول بغزارة والطين.

بدأ شخص تركي يبدو أنه زعيم تلك المجموعة يطلب منا الجلوس لأن الوقوف قد يعرضنا للاكتشاف من قبل الجندرما وكذلك الصوت العالي فكان علينا الجلوس بصمت، لم يكن من خيار آخر سوى الجلوس على الأرض والتأقلم مع الطين الذي ملأ نصف ثيابي مسبقاً.

وبعد حوالى ساعة من الجلوس في الطين، غلبني النعاس لدقائق، استفقت بعدها كأني مصاب بالهلوسة، أنظر الى الأرض، كأن شيئاً قد تغير بها، أدرك تماما أنى أجلس على الطين لكنه بدا لي كالبلاط، أغمضت عيناي وفتحتهما مراراً، وما زال يبدو كالبلاط. كل ما فعلته أنني ضحكت كالمجنون ثم غمست يدي في الأرض حتى تأكدت من أنه طين.

بدأ المهرب يجمع غلته، سارعت اليه وحرصت ألا أجادله في السعر الذي يطلبه، أعطيته ماله ومضيت مسرعاً، حتى وصلنا الطريق العام حيث كان سائق سيارة الأجرة التي غطى كراسيها بأكياس كي لا تتسخ بطيننا.

محمود عبد الرحمن

النزوح الحلبي إلى اللاذقية:
فقراء معدمون وأثرياء مرفّهون

تصوير جلال المامو

أصبحت اللاذقية منذ بداية الثورة السورية مقصداً للمهجرين من كافة المناطق السورية، وخصوصاً حلب، إذ يعيش اليوم قرابة المليون حلبي في اللاذقية، موزعين على مناطق مختلفة. بعض هؤلاء الحلبيين خسر أمواله وعمله، ويعيش اليوم حالة سيئة في مخيمات المدينة وحاراتها الشعبية. الأقل ضرراً من هؤلاء النازحين استأجر لنفسه محلاً صغيراً للمعجنات أو البهارات أو الألبسة، في حين انتقل كبار الأثرياء المرتبطين بالنظام مع مصانعهم وتجارتهم إلى شاليهات فارهة. محمد، صاحب محل "حلويات حلب" في المشروع السابع، وهو من الأكبر في اللاذقية، يقول لنا إن "العمل في اللاذقية أسهل بكثير من العمل في حلب، خلال سنة استطعت أن أشتري محلاً وبيتاً في المشروع السابع، وضعي مرتاح جداً هنا، ولا أريد العودة إلى حلب حتى".

"محمد" ليس مثالاً لجميع الحلبيين الموجودين في اللاذقية. ثلاثون دقيقة فقط تفصل بين المشروع السابع في اللاذقية ومخيم المدينة الرياضية الذي يضم أكثر من ٨ آلاف عائلة حلبية مهجرة من حلب، غالبيتهم من الأطفال والنساء يعيشون في خيم ضمن ظروف معيشية وحياتية صعبة جداً. معظمهم خسروا بيوتهم وأعمالهم نتيجة ممارسات النظام الوحشية في حلب، أطفالهم ينطلقون كل صباح باتجاه شوارع اللاذقية يحملون علب البسكويت والعلكة ليبيعوها،

نجيب طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره، يعيش مع إخوته وأمه في غرفة في الرمل الفلسطيني. نجيب رفض ترك المدرسة. حين يكون دوامه صباحي في المدرسة، يذهب ظهراً للعمل. وحين يكون ظهراً، يستيقظ باكراً، يحمل حقيبته المدرسية وبسكويتاته التي يبيعها ويتجول في الشوارع حتى وقت دوامه. عندما تسأل نجيب ما أكثر ما يشتاق له، يجيبك "دارنا الكبيرة بحلب و بسكليتي الزرقة".

ليس بعيداً عن المدينة الرياضية في منطقة الشاطئ الأزرق التي طالما كانت شاليهات يرتادها السياح صيفاً "وأغلبهم من الحلبيين". عائلات حلبية كثيرة تسكن تلك الشاليهات تتشارك كل ثلاث أو أربع عائلات شاليهاً من ثلاث غرف ليستطيعوا توفير الإيجارات التي يفرضها أصحاب تلك البيوت، يعيشون بمبالغ مالية صغيرة يدخرها الرجال من أعمالهم والمساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين كل خمسة عشر يوماً. في الجانب الآخر، مبالغ خيالية يدفعها حلبيون آخرون إيجارات لبيوت في أرقى مناطق اللاذقية السكنية. هؤلاء الحلبيون لم يتوانوا عن نقل تجاراتهم وأعمالهم إلى اللاذقية حيث انتقلت محلات كبيرة ومطاعم فخمة ومعامل كما هي. مشاريع ضخمة يقيمها الحلبيون اليوم في اللاذقية، مستغلين ضعف التجار المحليين، ونسبة اليد العاملة الكبيرة ووفرة رأس المال لديهم وعلاقاتهم بالقيادات الأمنية والضباط الكبار. كان انتقال التجار الحلبيين الى اللاذقية بمثابة الصدمة الكهربائية التي نشطت سوق التجارة في الساحل وأعادت الحياة والمنافسة له.

حالة من عدم التوازن المجتمعي والمالي تسيطر على المهجرين الحلبيين في اللاذقية. نساء تركب أفخم السيارات وترتاد أفخم المطاعم وأخرى تراها تسحب خلفها أطفالها تبحث لهم عما يأكلونه. رجل خسر عمله وبيته ويمضي هنا كل يومه يبحث عن عمل يوفر له خمسمئة ليرة في اليوم وآخر يقيم حفلاً كبيراً احتفالاً بحصوله على عقد يقدر ب ٣٠٠ مليون ليرة سورية لإقامة مجمع تجاري وسياحي في شارع ٨ آذار وهو نفسه يمنع أطفال محافظته من دخول مطعمه لبيع العلكة.

ناي

أردوغان وبوتين: سياسة بلا قفازات

السياسة لا تُحاكُ بأصابع نظيفة؛ فالتغيّرات السياسية تقتضي أن تضحّي بجزء من تحالفاتها وأفكارها وشخوصها بحسب مقتضيات الصراع القائم كي لا تقفَ عجلةُ التاريخ، وفي الوقت الذي تنزاح فيه المعطيات العامة للأفكار المتطرفة في العالم وتنهار المنظومات الحزبية التي تشكل عبئاً على الدول التي ما زالت متمسكةً بها، فتترنح تحت سطوتها قبل السقوط في هوة التعدّدية الحزبية التي ستسحب البساطَ من تحت الأحزاب الحاكمة.

بنظرة بسيطة إلى السبب التاريخي في سقوط حكم القياصرة في روسيا، تبرز الخسارات العسكرية المتتالية التي تكبّدها القيصرُ الأخير "نيقولا الثاني" بدءاً من خسارته أمام اليابان، وانتهاء بزجِّ روسيا في الحرب العالمية الأولى دون التجهيز لها. الخساراتُ التي مُنِيَ بها في هذه الحرب؛ كانت أهمّ الأسباب في انهيار حكمه، إضافةً إلى الجوّ العام السائد في ذلك الوقت، والحركات التحررية وأفكارها التي بدأت تتغلغل في بنية المجتمعات، كل هذه الأمور جعلت الأحزاب تنشأ كحالة بديلة عن الإمبراطوريات في القرن العشرين، وهيّأت الظروفَ للحزب الشيوعي "اللينيني" لإنشاء الدولة الفتية التي قضتْ على نظام "القياصرة"، واستطاعت أن تقودَ الجمهوريات السوفييتية لثمانية عقود، وتبرزَ من خلالها كقطبٍ عالميّ استطاع فرض معسكره على الكثير من التحالفات العسكرية والسياسية التي كانت تعاني من حالة التخبّط والتيه، ولتجدَ أيضاً بمقارنة بسيطة مع الحالة التركية انهياراً متزامناً لـ"سلطنة العثمانية" وللأسباب نفسها تقريباً،

وظهرت "التنظيمات الليبرالية" في ذلك الوقت لتتمثلَ في حزب "الاتحاد والترقي" وليبرز "أتاتورك" كقائد للحركة التركية الوطنية، ويُلغي الخلافة الإسلامية ويعلنَ تركيا دولة علمانية، بانياً نظاماً جمهورياً في تركيا الحديثة يحاكي ما بناه لينين في روسيا بل ويتزامن معه.
الظروفُ السياسيّة المواتية، وحالة الترهل في المؤسسات الحزبية، وانهيار الحزب الشيوعي اللينيني واضمحلاله بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتقسّمه، أدّى إلى تفكك حالةَ الانتماء الحزبي. وتمخّض عن هذا الانهيار حزب "روسيا الموحدة"، صاحب الايديولوجيا التي تتبع وتفهم الخط العام الذي تسير عليه السلطة، والتزم بتعليمات رئيس الدولة وبرامجه.

هنا، لسنا أمام حالة حزبية صحية؛ بل أمام حالة تطرفية لفكرة تشكّل "قيصراً جديداً" وإعادة روسيا القيصرية إلى العلن، وقد وجدتْ ضالتَها في شخص "بوتين" الذي بدورهِ بدأ فعلاً بتهيئة الظروف المناسبة معتمداً على ترويض الأقليات، وممارسة القمع والابتعاد عن الحريات. هكذا أصبحَت روسيا الدولة في ترتيب رقم ١٣٢ في الديمقراطية عالمياً، ورقم ١٤٨ في حرية الصحافة. وويصب الدخول في حروبٍ مباشرة مثل ضم شبه جزيرة القرم إلى روسيا عام ٢٠١٤، والحرب في سوريا، في اطار إعادة روسيا إلى الحكم القيصري الذي بدأتْ تظهر ملامحُه.

لا يختلف حلمُ أردوغان عن سابقه بإعادة تركيا إلى "حالتها العثمانية"، وتهيئة الظروف المناسبة ابتداءً من التراجع عن مفاوضات الأكراد التي بدأها في ثمانينيات القرن الماضي بعد نجاح الأخير في الانتخابات الماضية متمثلاً بـ"حزب الشعوب الديمقراطي" وإفشال تشكيل الحكومة والدعوة لانتخابات جديدة، مروراً بما يُسمّى "الديمقراطية الاسلامية" التي ينتهجها بعيداً عن الحالة العلمانية التي أنتجها أتاتورك وحماها الجنرالات لوقت طويل. وبذلك، يعودَ أردوغان إلى حالة الخلافة التي يكون لباقي المكونات فيها حقّ الشورى وعليهم حق البيعة، وعدم شق عصا الطاعة.
كلا الحلمين اصطدما بالحالة السورية ووجدا ضالتهما فيها من خلال بروز "بوتين" أمام المجتمع الروسي قيصراً جديداً يُعيد لروسيا حالة الهيبة التي فقدتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، ولأردوغان حالة "السلطان" التي انتهتْ بانهيار الدولة العثمانية، واستحالتها إلى "دولة هامشية". السوريون الضائعون بين حلمَيْن، الباحثون عن مأمن بين أحضان روسيا أو بين ظهراني تركيا، بين بوتين الباحث عن عمل بعد إسقاط الطائرة الروسية وأردوغان الباحث عن اعتذار بشكل أو بآخر.

مصطفى أبو شمس

صحة

إنفلونزا الخنازير في حلب

ينتشر في الآونة الأخيرة فيروس "إنفلونزا الخنازير" في سوريا عامةً وفي حلب بشكل خاص، إذ تعد المدينة الأولى بين المحافظات السورية لجهة عدد الوفيات والإصابات. وكان هذا الفيروس ظهر خلال الأشهر الماضية في مناطق سيطرة قوات النظام وفي مدينة "عفرين" من الريف الشمالي، وتوفي نتيجته ٩ أشخاص، في حين أُحيلت عشرات الحالات إلى المشافي، بحسب النظام. وحالات الموت بفيروس "إنفلونزا الخنازير" نادرة عادة، لكنّ الإهمال الصحي الذي يرافقه أو عدم معرفة الإنسان بأنه مصاب به، يجعله يصل إلى حالة الموت في مجتمعاتنا.

إنفلونزا الخنازير وباء له ثلاثة أنماط تصيب الإنسان والحيوان، وهي (A) و(B) و(C). والنمطان (B) و(C) لا يوجدان عادةً إلا عند البشر فقط. أما النمط (A) فيمكن أن يوجد عند الإنسان والحيوان.

وباء أنفلونزا الخنازير الذي نسمع عنه في وقتنا الحاضر، هو نوع جديد تنتقل فيه العدوى من شخص لآخر حتى لو لم يكن له اتصال مع الخنازير ، وتتراوح مدة الحضانة لفايروس إنفلونزا الخنازير بين ٣-٧ أيام ولكن قد تزيد وبخاصة عند الأطفال.

أعراض الوباء

أعراض انفلونزا الخنازير تشبه اعراض الأنفلونزا الموسمية العادية، من بين هذه الأعراض:

- ارتفاع درجة حرارة الجسم والقشعريرة
- السعال
- آلام في الحلق
- آلام في أنحاء الجسم المختلفة
- الصداع
- الإرهاق الشديد

وقد يعاني بعض المصابين بأنفلونزا الخنازير، أيضاً، من القيء والاسهال. وفي أغلب الحالات، لا يعتبر مرض انفلونزا الخنازير خطيراً، لكنه قد يؤدي في بعض الحالات إلى إلتهاب رئوي، والى مشاكل حادة في الرئتين، وقد يسبب الموت.

عند الوقوف على هذه الأعراض، لا بد من تشخيص المرض. يتوجه المريض إلى إجراء فحص جسدي شامل ويواجه أسئلة عن الأعراض التي يشعر بها وعن وضعه الصحي بشكل عام.

وقد يُطلب، أيضاً، أخذ مسحة (Swab) من الأنف لفحصها، مخبرياً، والتحقق من وجود الفيروس أم لا. ويتم إجراء هذا الفحص، عند وجود حاجة لذلك، بعد ٤-٥ ايام منذ لحظة الإصابة بأنفلونزا الخنازير.

علاجه:

يتم استخدام بعض العقاقير والأدوية التي تكون مضادة لهذا الفايروس منها ما يسمى بعقار "أوسيلتامفير" أو دواء اسمه "زانامفير" وهذا العقار يعطى للأشخاص الذين تم تأكيد إصابتهم لمدة ٥ أيام .

وينبغي التزام البيت وعدم الذهاب إلى العمل أو المراكز التعليمية، كما ينبغي تغطية الأنف دائماً بمنديل عند السعال أو العطس، ثم رمي المنديل في القمامة بعد الاستعمال.

أما في حال عدم توفر منديل، فيجب تغطية الأنف والفم بالجزء الداخلي من المرفق، وليس بكف اليد، وبالطبع فلا بد من الحرص على غسل اليدين بعد السعال أو العطس.

الوقاية :

تكون الوقاية من خلال وضع واقي على الأنف والفم عندما يريد الشخص العطس أو السعال.

- غسل اليدين بالماء والصابون أكثر من مرة بعد حدوث العطس والسعال.
- عدم مغادرة المنزل.
- يجب عدم لمس كل من العيون والأنف قبل غسل اليدين.
- ارتداء كمامة عند الخروج من البيت.

رأي الطبيب

يعيش الفيروس في الهواء لمدة 3 ثوان ولهذا لا يعتبر مرض أنفلونزا الخنازير مرضاً يشكل جائحة طبية ولا ينتقل في الهواء عن طريق التنفس بل بالاتصال المباشر كاستخدام الأدوات التي أكل بها مصاب آخر، أو مناديل استعملها أو التقبيل أو العطس في الوجه مباشرة، ولهذا فإن الوقاية تحد من انتشار هذا المرض.

في مناطق حلب المدينة، ونتيجةً للهواء الملوث والأغذية غير الصحية وانعدام وسائل التدفئة، يجد الفيروس مكاناً صالحاً له، إذ ينتشر في البنى الجسدية الضعيفة ويكون تأثيره فيها أقوى وأخطر.

يقول طبيب معالج في مشفى الرازي بحلب لـ"فوكس حلب" إنه "ليس شرطاً أن تكون حالات الوفيات التي دار الحديث عنها مؤخراً هي بسبب الإصابة بأنفلونزا الخنازير، اذ كانت هناك حالات وفيات بين الأطباء الذين عالجوا مقاتلي النظام على الجبهات أثناء إحالتهم للمشفى، فانتشار المرض غالباً ما يكون في المناطق الساخنة التي تدور فيها المعارك"، كما يفترض الطبيب أن حالات الإصابة في عفرين قد تكون انتشرت عن طريق مريض أُصيب بالفيروس عرضياً، ونقله إلى عفرين، "ما يفسر حالات الإصابات القليلة" فيها، حسب قوله.
ويرجّح الطبيب أن هناك أسلحة بيولوجية تستخدمها الدول المشاركة في الحرب في المنطقة وتزيد من تفعيل الفيروس.

مصطفى أبو شمس